المحاضرة الثانية

المحور الأول الفكر الاقتصادي في العصور القديمة

أولا: الفكر الاقتصادي في الحضارات الشرقية القديمة

عرفت الحضارات المصرية والبابلية القديمة مجتمعات منظمة في شتى الجوانب، حيث كان هناك تنظيم اجتماعي دقيق ومرن انعكس على التنظيم الاقتصادي. ولكن التوجهات الفكرية المتعلقة بتفسير الظواهر الاقتصادية بقيت قاصرة عن فهمها بشكل واضح وسليم.

I- خصائص التنظيم الاقتصادي للحضارة البابلية القديمة: يعتبر المجتمع البابلي من أقدم المجتمعات في التاريخ وقد تميز بحضارته المتطورة في تلك الفترة، حيث تميزت بالعلم والجاه، كما تميزت بأرضيها الخصبة والعمران حتى أصبح يضرب بها المثل في جميع المدن التي تقدمتها في تاريخ العمران، ومن أهم الوثائق التي توضح الصورة عن مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي والإداري للمجتمع البابلي هي قوانين "حمورابي" التي تعتبر من أول القوانين المكتوبة التي عرفها الإنسان. ومن أهم الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للحضارة البابلية:

- ملكية مالكي العبيد التامة لجميع وسائل الإنتاج وقد أوضحت قوانين "حمورابي" على حق الأحرار في امتلاك الأراضي والعبيد والتصرف المطلق بهم.

- قوى الإنتاج تطورت بشكل ملحوظ حيث استخدم في الزراعة وعلى نطاق واسع الأدوات المعدنية؛
- الحرف: أخذت أدوات الحرفيين تزداد اتقانا وتعددت أنواع التخصصات الحرفية، فانتشرت الحياكة بشكل واسع وكان المواطنون الأحرار هم الذين يزاولون الحرفة بينما العبيد استخدموا في أعمال البناء والأشغال الشاقة؛
- التجارة و صناعة السفن: مع تطور التجارة البحرية أخذ الاهتمام بصناعة السفن لنقل وتبادل المنتجات، ولهذا أخذ الانتاج يكتسب طابع التبادل السوقي (الانتاج من أجل البيع في السوق) بعد أن كان انتاجا يهدف لسد الحاجات.
- النقود: تعرف المجتمع البابلي على المصارف 2200 قبل الميلاد وكان للعمليات المصرفية أهمية بالغة مما دفع المملكة الى تشريع قانونها الشهير بتحديد الفائدة القصوى على المحصولات الزراعية بنسبة 30% وحددت فائدة النقود بنسبة 12% إلى 20% .
- الطبقات الأساسية التي أشارت لها قوانين حمورابي: طبقة الأحرار الأثرياء والجنود؛ طبقة الحرفيين الأحرار والصناع الذين يمتلكون مشاغل بسيطة؛ طبقة العبيد وهي الطبقة المحرومة والمستغَلة وفي نفس الوقت الطبقة المنتجة والعاملة.

II- خصائص التنظيم الاقتصادي للحضارة المصرية القديمة: كان المجتمع المصري ينقسم الى طبقتين أساسيتين: الطبقة الحاكمة وطبقة الرعية وهي تشمل أفراد الرعية العمال الأجراء، الصناع والمزارعين إلى جانب العبيد العموميين. ومن أهم خصائص المجتمع المصري:

- كانت علاقات الإنتاج في المجتمع المصري تمثل العبودية المعممة، والدولة تسيطر على أملاك البلاد بشكل كامل وأن الرعية ملك للدولة. وكان هناك نوعان من الملكية: ملكية فردية تتوزع بين ملكيات صغيرة وملكيات كبيرة وكان الحق مطلقا. وملكية الانتفاع كأن يمنح بعض الموظفين حق الانتفاع بقطعة أرض.

- الملكية الخاصة قائمة على أساس الأرض التي تعتبر هي المظهر الأساسي للثروة؛
- يعتبر الإنتاج الزراعي هو الأساس في الاقتصاد الفرعوني، ويوزع الإنتاج على ثلاثة حصص: الأولى تغطي متطلبات الإنتاج واحتياجات المنتجين. والثانية تسلم على شكل ضريبة عينية للدولة، أما الثالثة وهي عبارة عن الانتاج الفائض يوزع على أفراد الطبقة الحاكمة.
- تميز الاقتصاد بالاكتفاء الذاتي، فقد كانت التجارة نشاطا ثانويا التي بدأت عن طريق المقايضة ثم انتقلت إلى استخدام النقود. فقد كانت التجارة مجازة وغير محرمة.
- منع أخذ الفائدة؛
- بالنسبة للنقود لها قيمة في حد ذاتها؛
- اقتصار الكتابات المصرية القديمة على تسجيل الأفكار الفلسفية والدينية وكل ما يتعلق بتنظيم الحكم، وتقسيم الطبقي للمجتمع؛

ثانيا: الفكر الاقتصادي في الحضارة اليونانية

تعتبر الحضرة اليونانية من أبرز الحضارات التي عرفتها الإنسانية، حيث اخذ اليونان من الأفكار التي سبقتهم ودرسوها واقتبسوا منها الكثير من العلوم والمعرفة، وأضافوا إليها ابتكاراتهم وإبداعاتهم مما جعل الحياة العلمية تزدهر ازدهارا كبيرا.

I- المظاهر العامة للحياة في الحضارة اليونانية: في البدايات الأولى للحضارة اليونانية كان الاقتصاد يعتمد على الأنشطة البسيطة، وكانت العلاقات الاقتصادية بسيطة وغير معقدة.

ولكن مع تقدم الزمن توسعت الحضارة اليونانية وازدهرت التجارة الخارجية وتطورت الحياة الاقتصادية نتيجة لذلك.

1- الظروف الاجتماعية: تميزت الظروف الاجتماعية في المدن اليونانية بوجود تركيب طبقي، حيث قسم السكان حسب مواطنتهم إلى:

أ- المواطنون: يشترط في كل فرد يحمل الجنسية اليونانية ان يكون مولودا أصلا من أب وأم يونانيين، إلا انه بمرور الزمن أصبحت المواطنة تمنح لبعض الذين يقدمون خدمة جليلة للدولة مثل قادة الجيش. والمواطنون لهم حق الملكية، وظهرت فيها طبقتين: طبقة كبار الملاك وهم قمة الهرم الاجتماعي يمارسون السياسة في أعلى مناصبها ويعيشون على دخل لم يساهموا فل إنتاجه. وطبقة صغار الملاك وهم يمثلون أغلبية المواطنين يمتلكون الأراضي الأقل خصوبة ولهم الحق في ممارسة السياسة.

ب- الأجانب: وهم الوافدون إلى اليونان وإقامتهم عادة ما تكون مؤقتة، لا يتمتعون بالحقوق السياسية وليس لهم حق التملك.

ج- العبيد: وهم يمثلون قاعدة الهرم الاجتماعي اليوناني. ولقد عومل العبيد معاملة سيئة، فكان العبد مثل الآلة الإنتاجية يباع، يؤجر. ولم يكن له حق التملك أ بناء أسرة.

2- النشاط الاقتصادي اليوناني: لقد تطور الاقتصاد اليوناني تطورا ملحوظا وخاصة بعد القرن الخامس قبل الميلاد. ومن أهم الأنشطة الاقتصادية التي كانت سائدة:

أ- الزراعة: طبيعة الأراضي اليونانية تميزت بقلة الخصوبة وكثرة الجبال والأحجار والجزر مما صعب من عملية التطور الزراعي وظهر ما يسمى بالوحدات الزراعية: وحدات كبار الملاك وتضم الأراضي الأكثر خصوبة، ووحدات صغار الملاك تتكون من الأراضي الأقل خصوبة، ووحدات الأفراد وهو قليل وغير منتشر في كل المدن اليونانية، ظهر في اسبرطة ويقوم على زراعة بعض الأراضي التابعة للدولة.

ب- الصناعة: عرفت الصناعة في المدن اليونانية في شكل حرف لابد من وجودها لضرورة الحياة اليها. وبدأ الاهتمام باستخراج المعادن لاستخدامها في الصناعة الحربية، كما ظهرت صناعة السفن تماشيا مع تطور واتساع رقعة الدولة اليونانية

ج- التجارة: مع اتساع رقعة الدولة اليونانية ازدهرت التجارة الدولية ازدهارا كبيرا وانعكس ذلك على النشاط الاقتصادي بصفة عامة وصناعة السفن بصفة خاصة.

II- مساهمة كبار فلاسفة اليونان في الفكر الاقتصادي: لقد استخدم الإغريق كلمة اقتصاد ولكن لم يقصدوا بها ما تحمله من معنى للاقتصاد في يومنا هذا، بل كانت تعني "قوانين إدارة المنزل" أو "البحث في فن إدارة المنزل". كما تركوا بعض الأفكار الاقتصادية السليمة، ولكن لم تكن في مجموعها ذات طبيعة علمية تعتمد على طريقة منتظمة في البحث والتحليل، حيث قام فلاسفة الإغريق بالكتابة في بعض المسائل الاقتصادية في كتبهم المختصة في الفلسفة والأخلاق والسياسة، وكان من أبرزهم أفلاطون وأرسطو.

1- مساهمة أفلاطون (427-347 ق.م): لم يكتب أفلاطون في الاقتصاد بعينه، ولم يكن متخصصا في هذا المجال، ولكن آثاره الاقتصادية جاءت متضمنة في كتابه المشهور "الجمهورية". ومن أبرز هذه الآثار:

أ-المدينة الفاضلة (اليوتوبيا): إن مدينة أفلاطون تتميز بأنها صغيرة نسبيا، وبأن جميع المسائل الاقتصادية وغير الاقتصادية فيها تنظم بحزم ودقة، وبأن النساء والرجال يعاملون فيها على حد سواء. وهي المدينة التي يتحقق فيها العدل والحياة الطيبة. وقد بدأ أفلاطون بالبحث عن نشأة المدينة، وارجع أصل المدينة إلى العامل الاقتصادي، فيذكر أن المدينة تنشأ لأن الفرد لا يتمكن من أن يكفي نفسه بنفسه لذلك يجتمع عدد من الأفراد حتى يستطيع كل منهم اشباع حاجات بعضهم البعض. وقد قسم مجتمع المدينة إلى ثلاث طبقات:

- الطبقة الذهبية: وتشمل العلماء والفلاسفة والحكام، مهمتها سن القوانين وإدارة شؤون المدينة، من حقها الحصول على الإشباع التام لكن محرم عليها التملك وإنشاء عائلة.
- الطبقة الفضية: وتشمل الجنود بجميع رتبهم وكل من يحفظ الامن ويدافع عن المدينة من حقها الحصول على الاشباع ومحرم عليها التملك وإنشاء عائلة.
- الطبقة النحاسية: طبقة الصناع والزراع والتجار وهم كل من يعمل في النشاط الاقتصادي، مهمتها إنتاج كل ما يحتاجه مجتمع المدينة.

ب- تقسيم العمل: أحد الأفكار الاقتصادية البارزة التي استخرجها المؤرخون من دراسات أفلاطون فكرته لأهمية تقسيم العمل، حيث نادى بتطبيق نوع من تقسيم العمل في مدينته

الفاضلة، وكان يرى أن لكل شخص مواهب وكفاءات خاصة به، وهذا يجعل تخصصه في مهنة من المهن أمر طبيعي. وحسب رأيه إذا ماتخصص كل شخص في المهنة المهيئ لها طبيعا سيزيد الإنتاج كما ونوعا.

ج- النقود: يرى أفلاطون أن للنقود دور هام في المدينة الفاضلة، فعندما يتم تقسيم العمل ويتخصص كل فرد في حرفة معينة، فغن كل شخص سيعرض إنتاجه على الآخرين ليشتروه، فتظهر الحاجة للنقود كأداة ملائمة لتحصل بواسطتها عمليات البيع والشراء. ومن أهم أفكاره في هذا الموضوع:

- النقود وسيلة للتبادل؛
- يجب أن تكون النقود مستقلة عن قيمتها الذاتية؛
- اقترح أفلاطون نقودا صورية تستعمل خصيصا للتبادل؛

د- الربا: كان يرى أنها أمر مرذول وأن النقود عقيمة. لذا كان رافضا للربا واعتبرها أمر غير أخلاقي.